

بحار الأنوار

[79] لم تزل مع المبدع. فأنكر عليه سائر الحكماء وقالوا: إن الهيولى لو كانت أزلية

قديمة لما قبلت الصور، ولما تغيرت من حال إلى حال ولما قبلت فعل غيرها، إذ الازلي لا يتغير. وقوله عليه السلام (فمن أين جاءت هذه الألوان المختلفة) لعله مبني على ما زعموا من أن كل حادث لابد له من منشأ ومبدأ يشاكله ويناسبه في الذات والصفات فألزمه عليه السلام بحسب معتقده، أو المراد أن الاحتياج إلى المادة إن كان لعجز الصانع تعالى عن إحداث شيء لم يكن فلا بد من وجود الأشياء بصاتها في المادة حتى يخرجها منها ! وهذا محال لاستلزامه كون المادة ذات حقائق متباعدة واتصافها بصفات متضادة، وإن قلتم إنها مشتملة على بعضها فقد حكمتكم بإحداث بعضها من غير مادة فليكن الجميع كذلك، وإن قلتم إن جوهر المادة يتبدل جواهر (1) آخر، وأعراضها أعراضاً أخرى فقد حكمتكم بفناء ما هو أزلي وهذا محال، و بحدوث شيء آخر من غير شيء وهو مستلزم للمطلوب. وأما ما ذكره عليه السلام في الحيات والموت فيرجع إلى ما ذكرنا وملخصه أنه إما أن تكون مادة الكل حية بذاتها أو ميتة بذاتها أو تكون الأشياء من أصلين أحدهما حي بذاته والآخر ميت، وهذا أيضاً يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون كل شيء مأخوذاً من كل من الحي والميت، والثاني أن يكون الحي مأخوذاً من الحي والميت من الميت، فأبطل عليه السلام الأول بأنه لو حصل الميت بذاته عن الحي بذاته يلزم زوال الحياة الازلية من هذا الجزء من المادة وقد مر امتناعه أو تبدل الحقيقة الذي يحكم العقل ضرورة بامتناعه. ولو قيل بإعدام الحي وإنشاء الميت فيلزم المفسدة الأولى مع الإقرار بالمدعى وهو حدوث الشيء لا من شيء، وبهذا يبطل الثاني وكذا الثالث، لأن الجزء الحي من المادة يجري فيه ما سبق إذا حصل منه ميت، وأشار إليه بقوله (لأن الحي لا يحيى (2) منه ميت) وأشار _____ (1) في بعض النسخ: جوهرها آخر. (2) في بعض

النسخ: لا يحيى (*).